ما نراه

في

بحارنا وثغورنا



تأليف

﴿ مصطفى راشد رستم ﴾



١٣٢٧—١٩٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على سيد المرسلين ﴾

أما بعد فوظيفة الكاتب لقارئه كوظيفة الرسول للناس ، لاينقل الا مايعرف انه صدق ، ولا يدون الا مايعتقد انه حق ، والقارىء ينتظر من الكاتب الصراحة ، والكاتب يطلب من القارىء السماحة ، فعليّ لك حق الاولى ، ولي عليك حق الثانية والسلام

مصطفى راشد رستم

تمهيدات

١

(البحار)

ان اليوم الذي ابتدأت فيه الدنيا تمر بالانسان حقيقة هو ذلك اليوم الذى اوحى فيه له ان يصنع الفلك ليمخر به عباب الماء ، اذ قد مهدت له بذلك وهو سلطان المخلوقات سبل البحر كما خضعت لنعليه سبل البر من قبل وان اختراع السفن قبل السكك الحديدية مع العلم بان الاختراع ابن الحاجة مما يدل على ان الانسان احوج الى سبل البحر منه الى سبل البر

١ — (البحر تجاريا) نظر الاجتماعيون والاقتصاديون الى البحار فوجدوها أعظم طريق يصلح للتجارة العامة فانشأوا من القدم المراكب التجارية لتحمل الحاصلات الزراعية والمصنوعات وجميع انواع التجارات من بعض البلاد لغيرها وكانت المراكب حينئذ في درجة تسمح بها حالة التمدين القديم ثم تقدم فن الملاحة وسهلت السياحة بالاختراعات العظيمة التى أهمها الابرة المغناطيسية « البوصله » وترقت وسائط النقل البحرية بترقي الانسان فغيرت المراكب الشراعية بالسفن التجارية وحسنت هيئتها وكبر حجمها حتى صرنا نرى تلك البواخر كانها مدن تسبح أو ثغور تتحرك . وادخلت فيها الاختراعات الحديثة كالتلغراف اللاسلكي فزادت أهمية البحار تجاريا وانه فضلا عن هذه التحسينات العصرية فان البحار بطبيعتها أصلح الطرق التجارية حقيقة اذ لا يمكن لاى أمة ان تملكها أو تملك واحداً منها اللهم الا اذا ملكت هذه الامة جميع شواطىء هذا البحر مع الملاحظة ايضاً انها فى هذه الحالة لا تقدر ان تمنع السفن التجارية من السياحة فيه منعا قطعيا لعدة أسباب نكتفي لاظهار بعضها بان نلفت نظر حضرة المطالع الى بوغازى البوسفور والدردنيل وهما المختصان بشروط يعلمها الكل فان الدولة العلية صاحبة السيادة عليهما والامتيازات المعلومة فيهما لا تقدر ان تسدهما في وجه البواخر التجارية المختلفة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على سيد المرسلين ﴾

أما بعد فوظيفة الكاتب لقارئه كوظيفة الرسول للناس ، لاينقل الا مايعرف انه صدق ، ولا يدون الا مايعتقـد انه حق ، والقارىء ينتظر من الكاتب الصراحة ، والكاتب يطلب من القارىء السماحة ، فعليّ لك حق الاولى ، ولى عليك حق الثانية والسلام

مصطفى راشد رستم



تمهيدات

١

(البحار)

ان اليوم الذي ابتدأت فيه الدنيا تمر بالانسان حقيقة هو ذلك اليوم الذى اوحى فيه له ان يصنع الفلك ليمخر به عباب الماء ، اذ قد مهدت له بذلك وهو سلطان المخلوقات سبل البحر كما خضعت لنمليه سبل البر من قبل وان اختراع السفن قبل السكك الحديدية مع العلم بان الاختراع ابن الحاجة مما يدل على ان الانسان احوج الى سبل البحر منه الى سبل البر

١ — (البحر تجاريا) نظر الاجتماعيون والاقتصاديون الى البحار فوجدوها أعظم طريق يصلح للتجارة العامة فانشأوا من القدم المراكب التجارية لتحمل الحاصلات الزراعية والمصنوعات وجميع انواع التجارات من بعض البلاد لغيرها وكانت المراكب حينذاك في درجة تسمح بها حالة التمدين القديم ثم تقدم فن الملاحة وسهلت السياحة بالاختراعات العظيمة التى أهمها الابرة المغناطيسية « البوصله » وترقت وسائط النقل البحرية بترقي الانسان فغيرت المراكب الشراعية بالسفن التجارية وحسنت هيئتها وكبر حجمها حتى صرنا نرى تلك البواخر كانها مدن تسبح أو ثغور تتحرك ، وادخلت فيها الاختراعات الحديثة كالتلغراف اللاسلكي فزادت أهمية البحار تجاريا وانه فضلا عن هذه التحسينات العصرية فان البحار بطبيعتها أصلح الطرق التجارية حقيقة اذ لا يمكن لاى أمة ان تملكها أو تملك واحداً منها اللهم الا اذا ملكت هذه الامة جميع شواطىء هذا البحر مع الملاحظة ايضاً انها فى هذه الحالة لا تقدر ان تمنع السفن التجارية من السياحة فيه منعا قطعيا لعدة أسباب نكتفى لاظهار بعضها بان نلفت نظر حضرة المطالع الى بوغازى البوسفور والدردنيل وهما المختصان بشروط يعلمها الكل فان الدولة العلية صاحبة السيادة عليهما والامتيازات المعلومة فيهما لا تقدر ان تسدهما في وجه البواخر التجارية المختلفة

نعم ان لكل مملكة دائرة نفوذ في البحر على مسافة معينة من شاطئها ولكن ليس لها نفوذ عليه كله أو في منطقة منه الا فى أوقات الحرب البحرية وقد يكون لها شبه امتلاك عليه في وقت السلم وذلك بان تكون صاحبة بحرية حربية قوية أو تكون لها السيادة البحرية الحربية العامة في العالم

وفي وقت الحرب لكل من المتحاربين الحق في مماكسة سفن الاخرى التجارية فضلا عن الحربية ولها ان تأسرها وتضبط شحنها الا اذا كان الشحن لدولة محايدة وان تأسر ايضاً سفن كل دولة محالفة للدولة المحاربة . واما سفن الدول المحايدة سواء كانت حربية أو تجارية فليس عليها حرج من السياحة بكل اطمئنان الا فى أوقات وأحوال تقضى بمماكستها وضبطها وذلك ان كانت تحمل مايشتبه فيه من الذخائر للعدو أو غير ذلك من الأحوال والشروط المعروفة بينهم

وفي وقت الحصار ان كان حصاراً سلميا كما يحصل من المظاهرات البحرية امام ثغر أو جزيرة لدولة ضعيفة من دولة قوية يجوز بل يمكن للدول الاخري من مداومة الاتجار مع المكان المحاصر سلميا ؛ وان كان حصارا حربيا فللمحاصر الحق ان يعطي اذنا للسفن المحايدة من الدخول للاتجار مع الثغر المحاصر ولكن هذا لاينتظر من عدو يريد سحق خصمه بكل وسيلة يمكنه منها الدهر وتساعده عليها الفرص

وهناك بعض أماكن كقنال السويس مثلا لايمكن حصرها وانما هى على الحياد باتفاق جميع الدول على ذلك

***

من المستحيل ايجاد الصلة البرية بين الجزائر المتعددة وهى كما لا يخفى عظيمة الأهمية منتشرة في جميع البحار ومن الصعب ربط القارات الكبيرة وهى مجموع ممالك عظيمة ببعضها بطريق من البر . ومن الجهل والغباوة ان ينقطع سكان أى جزيرة أو قارة عن اخوانهم سكان الجزر والقارات الاخرى . كل هذه المستحيلات والصعاب والجهالات أعلت من شأن البحار تجاريا اذ أحوجت لبناء السفن والسفر بها حاملة من بلد مفرغة فى غيرها

ماهي السبل التي تصل أوروبا بل العالم القديم كله بأمريكا ؟ ماهي الطرق التي نصل بها نحن سكان الشرق الادنى ويصل بها الغربيون الي الشرق الاقصي والهند والاقيانوسية والجزر المنتشرة المهمة ؟ أليس ذلك كله بالطرق البحرية !

***

ان تجارة العالم الآن تنتقل بواسطة البحار اكثر من واسطة الارضين . فهناك بقاع لم تعرف فيها السكك الحديدية ولكن مع ذلك فان تجارتها الصادرة والواردة عظيمة. ولاشك بان السبب في ذلك هى الصلة التجارية البحرية بين هذه البلاد وغيرها ثم ان الباخرة الواحدة تشحن بما تحمله عدة قطارات طبقا للقاعدة المعروفة وهى ان القوة التى تحرك كذا من الاثقال بالسكة الحديدية تحرك ثلاثة امثالها على الماء . وان قيل ان القطار أسرع من الباخرة فينتقل فى عدة مرات ماتحمله هى فى مرة واحدة مع وحدة الزمن لكان رخص النقل في البحر عن النقل فى البر جوابا مسكتا ورداً مفحما

وكل الامم — ماعدا الامة العديمة الشاطىء — ترتكن في تجارتها على الخارجية منها ولاتتم هذه الا بالصلة البحرية ، ولو استدرجنا من بحثنا هذا الى التعميم نجد ان الانهار لها عمل عظيم في التجارة بالاخص الداخلية منها

ضع امامك ايها القارىء الفاضل خريطة الدنيا وانظر الى قاراتها مع علمك بأن أوروبا اعظمها شأنا تليها أمريكا فآسيا فاستراليا فافريقية ثم استخرج اسباب هذا التفاوت فى الدرجات . لاشك ان علمك الغزير وعقلك الراجح يصلان بك الى أن من أهم هذه الاسباب الكثيرة: الموقع الجغرافي وطول الشاطىء البحرى وكثرة خلجانه ومنعطفاته فاوروبا وهى كما تعلم من صغر الحجم طويلة الشاطىء كثيرة الخلجان لاتبعد أبعد نقطة في وسطها عن الشاطىء بمسافة ٦٠٠ ميلا تقريبا وهى خطوة تسهل الوصول الى الثغور مراكز التجارات الخارجية وهكذا تجد النسبة في القارات الاخرى وان اختلفت قليلا

(سياسة الباب المفتوح)

لما طالت المسابقة واشتدت المنافسة بين الحكومات الغربية في الاستعمار والامتلاك ورأت بعضها ان غيرها ينتهز عنها الفرص ويسبقها في ذلك وربما عاكستها في تجارتها مع

تلك المستعمرة التابعة لغيرها أوجدت أصطلاحا جديداً في السياسة سمته (سياسة الباب المفتوح) يراد به عدم التعرض للتجارة في المسائل السياسية فمثلا لما اشتدت الازمة المراكشية وعقدمؤتمر الجزيرة في ١٦ ينايرسنة١٩٠٦ حسب دعوة المانيا لتقرير المصالح الاوروبية في مراكش وخوفا منها ان تستأثر فرنسا الطامعة فيها بجميع خيراتها كان شعار المانيا بعد ان فشلت سياستها في ذلك المؤتمر أن تنادي بحفظ سلامة (الباب المفتوح) أي ان كل أمة لها الحرية التامة في التجارة مع هذه البلاد ، وكذلك نادت المانيا في المسألة الصينية وهكذا تنادى هى وغيرها ما دام الفشل حليفها في سياستها الاستعمارية

يعلم مما تقدم ان (سياسة الباب المفتوح) كانت سببا من الاسباب الداعية لاهمية البحار تجاريا

٢ — البحر حربيا

انشأت كل أمة لنفسها مراكب تجارية كما تقتضي عليها حاجات العمران ولكن لما كان الانسان لايخلو من طباع التعدى خافت الامم على تجارتها البحرية من تعدي الغير عليها فبنت السفن الحربية وقاية لسفنها التجارية ودفاعا عن ثغورها وشواطئها التى هى ابواب الممالك

تنافست الحكومات في تقوية حربيتها اتباعا لقاعدة المحافظة على النفس والمال ووقعت بينها المواقع البحرية وادت الحالة الى سعى كل منها للفوز بالسيادة البحرية اذ هى التى تعطي الامة الكلمة النافذة في المسائل السياسية والاقتصادية وغيرها وليس في قدرة أى أمة أن تنال السيادة البحرية بسهولة ولكن ذلك لايكون الا بعد حروب بحرية عديدة يتقرر في نهايتها لمن الغلبة ولمن السيادة

ان السيادة البحرية تنشأ عن عظيم القوة الحربية البحرية وعن امتلاك كثير من الجزر ذات الأهمية الحربية والثغور الصالحه لحماية السفن فى جميع البحار وعلى جميع الشواطىء بشرط قربها من بعضها ، وهكذا اتبعت انكلترا فى سياستها البحرية من يوم ان سعيت وراء الحصول على السيادة البحرية فى العالم

نابليون وانجلترا — من المعلوم ان من أعظم أماني نابليون التى كان يسعى وراءها

وفشل فيها هي امتلاك انكلترا . ولقد تمكن هذا الداهية من أن يطأ كل مكان برجله وخيله الا انكلترا وليس ذلك لقدرة الانكليز ولجدارتهم بالوقوف امامه فى ساحة الوغى كلا وانما البحر الذى فصل الجزر البريطانية عن اوروبا هو الذى فصلها أيضاً وأبعدها عن تحقيق مطامع نابليون فيها

وقد عمل جهده من يوم ان كان قائداً بسيطا لاخضاع انكلترا له فاراد أن يضربها فى هندها العزيزة ولما لم تمكنه الحوادث من ذلك حاربها في البحر تجاريا فاصدر قراره المشهور بالاوروبى أى الكونتننتال حصارا لها ومنع سفن الدول الاخرى من الصلة بينها معلنا ان كل سفينة ذهبت اليها وجاءت منها تحجز وان كل سفينة ترضخ لتفتيش المراكب الانكليزية تخرج عن جنسيتها وتعتبر تابعة لانكلترا .

يظهر هنا من أعمال نابليون ان البحر كان المانع له من امتلاك انكلترا وأضف الى ذلك عدم حيازته لقوة بحرية حربية قويه

المانيا وانكلترا — ان المانيا أمة شابة ذات مطامع فى السيادة العامة في العالم وليس امامها خصم يعاكسها فى تحقيق مطامعها غير انكلترا ولا يمكنها ان تتغلب عليها الا اذا فاقتها في قوتها البحرية حتى تنال السيادة التى لانكلترا في البحر وبعدئذ يكون لها الكلمة النافذة

واننا الآن نشاهد المنافسه الشديدة التى بين هاتين الامتين ومسابقتهما لبعضها في ميدان البحرية . فقد قامت انكلترا وقعدت لاستعدادات المانيا فى تقوية بحريتها وحق لها ذلك اذ لو ذهبت السيادة البحريه من يدها لذهبت حالا منها الكلمة النافذه والسلطة الفاصلة

وتذهب السيادة البحريه من دولة اذ ظهر لها منافس او كانت مستعمراتها عظيمة شاسعة بعيدة عنها وعن بعضها اذا تضطر لتقسيم قوتها للدفاع عن كل جزء تملكه الامر الذى يجعل الدفاع صعباً

وقد أرادت انجلترا ان تحفظ لنفسها السياده البحريه مدة طويله فكانت سياستها البحريه مؤسسة على وجوب جعل قوتها تعادل قوة مملكتين عظيمتين حربيتين مجتمعتين ولما اشتدت المنافسة بينها و بين المانيا فى هذه الاوقات الحاضرة طلبت من مستعمراتها

المساعدات لتنشئ البوارج الحربية حفظا لسيادتها فكان رد بعض المستعمرات ومنها استراليا انها (اي المستعمرات) ستقدم بيناء ما تحتاج من السفن الحربية للدفاع عن نفسها فلا تحوج انكلترا نفسها اذا نشبت الحرب الى تشتت قوتها وانما تهتم بالمدافعة عن نفسها كما ستقوم المستعمرة بذلك أيضا وهى سياسة في الحقيقة جيدة وتيقظ عظيم يقاوم به الخصم منافسه

وهكذا تسعى كل امة طامعة فى السيادة العامه للحصول اولا على السياده البحريه وانا فى زمن نرى فيه الامم تعير عظيم التفاتها الى قوتها البحريه وهذه الولايات المتحدة لما رأت كثرة الكلام على قوتها البحرية وانها لا تقدر ان تقاوم اليابان اذا نشبت بينهما الحرب التي كانت منتظرة أرادت ان تظهر للملأ كله وخصوصا اليابان تلك القوة البحرية التي تملكها وعمدت الى ارسال اسطولها العظيم في سياحة طويلة جدا يمر على أهم البلاد — وكانت نتيجة سياحة هذا الاسطول الحربى ان حفظت الولايات المتحدة لنفسها عظمتها البحرية وأعلنتها لمن انكرتها عليها من الدول وأسكتت أفواه اللاغطين وهكذا تحفظ الامم عظمتها بحريتها وبحريتها

٣ — (البحر عمرانيا) — ان البحث فى العمران تدخل تحته التجارة الحربية ولكن حيث اننا افردنا لكل بحثا خاصا فنتكلم على ماللبحر من التأثير في عمران العالم فى غير ماتقدم الكلام عليه

أن الامة التي تتوصل الى اتقان السياحة فى جزء من البحر تتمكن منها في جميع جزائه وهذا مادعي للسهولة فى الاكتشافات التى حصلت من القدم بواسطة البحار

قبل سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ميلادية في أيدي الاتراك كانت أهم الطرق التجارية بين الغرب والشرق في البر تمر بالقسطنطينية أو حلب أو الاسكندرية الخ وكانت أهم الطرق البحرية والتجارية فى ذلك الوقت بايدى أهل (جنوا)و(البندقية) فلما وقعت القسطنطينية في أيدى الاتراك ءاكسبوا التجارة البحرية لهاتين القوتين العظيمتين ومعلوم مما تقدم ان التجارة البحرية مهمة جداً فخافت هذه الدول على تجارتها فاجتهدت لاكتشاف طرق بحرية محضة توصل تجارة الغرب الى الهند والشرق والعكس بالعكس

وكانت من نتيجة هذا الاجتهاد اكتشاف امريكا سنة ١٣٩٢ واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧

هذه الاكتشافات كانت بواسطة البحار والبحارة المشهورين وبقي هؤلاء يسيحون في كل جهة الى ان تم اكتشاف ما نعرفه الآن من الاراضي العظيمة كأمريكا وجنوب افريقيا والاقيانوسية والجزر المهمة المنتشره في جميع البحار

وهذه الاكتشافات التي تمت أغلبها أو كلها بواسطة البحار والبحارة قد دعت الامم للمسابقة في امتلاك هذه الاراضي الجديدة واستعمارها

وقد كانت الامم الاكثر امتلاكا لهذه الاراضي هي التي كانت أعظمها قوة بحرية واننا نرى هذه القاعدة مضبوطة ايضاً في هذه الايام الحاضرة فلامة صاحبة السيادة البحرية هي صاحبة الاملاك الكثيرة والمستعمرات المهمة في جميع البحار وأهم الشواطيء

ولقد كان استعمال الممالك المتمدينة للبلاد المتوحشة — مهما كان القصد من هذا الاستعمار — داعيا الى تقدم العالم وحضارته فكم من مستعمرة قامت تطلب الحرية والسعادة من تأثير ضغط المستعمرين وسوء معاملتهم وكم من مستعمرة استفادت من مستعمريها ان كانوا من محبي الانسانية حقيقة — ولو ان هذا الصنف من المستعمرين قليل

ثم ان في الاستعمار اختلاط الاجناس بعضها بالتجارة وغيرها والاختلاط داع من دواعي الحضارة والتقدم فيستفيد المتوحش من التمدن ويتعلم المتأخر من المتقدم

ان الموقع الجغرافي البحري يؤثر على الامم فيجعلها فى صف واحد من المظم ويصب آمال كل منها واغراضها السياسية والاقتصادية في قالب التشابه والتجانس مع اختلافها دينا وطبعا وآدابا وأخلاقا وهاهي اليابان وانكلترا خير مثال للمقارنة

(شواطيء البحار) — كان الشاطيء مدخلا للبحر وقد صار الان مدخلا للارض لان البحر ليس مكانا يستقر فيه الانسان ولان اجزاء اليابسة قد عرفت كلها الان

وعلى الشاطيء تؤسس الثغور ، وتقام الحصون . وتوجد اكثر المدن سكانا

(الثغور)

هي ابواب الممالك ومنافذ تجارتها ومرامي سفنها واساطيلها ، ولقد شغلت أهميتها

جزءاً عظيما في تاريخ العالم القديم والحديث فما أسست مدينة الاسكندرية الا وازدادت أهمية مصر تجاريا وحربيا وعمرانيا وما اراد بطرس الاكبر تأسيس المملكة الروسية الا وكان همه العظيم امتداد حدود المملكة الى شواطىء البحار المهمة حتى يتمكن من بناء الثغور فتسهل الصلات بينها وبين الممالك المتمدنة وتأخذ البلاد في النمو وتتقدم الاهالى نحو الحضارة والتمدن

ولقد تعلم بطرس فن بناء السفن يوم لم يكن لبلاده حظ فى فوائد البحر غير ميناء واحدة على المحيط المنجمد الشمالى الذى لا ينفع في تمدين مثل المملكة التي حلم بها والتي أراد اظهارها للوجود ووضعها بين الدول العظيمة

لم يأل بطرس جهداً فى الحصول على مقصوده فحارب الدولة العثمانية وهو يرجو توسيع نطاق ملكه وايصال حدوده الى بحارها المهمة فنال ما تمنى على شواطىء البحر الاسود ثم اوصى قبل وفاته وصيته المشهورة بانه يجب على كل ملك يتولى بعده سرير الروسية أن يجعل همه الاول محاربة الدولة العلية لأخذ مدينة الاستانة حتى تصل حدود الروسية الى شاطىء البحر الابيض المتوسط ذى الاهمية التي لاتخفى على أحد . ثم انه لم يقصر همه تجاه تركيا فقط بل حارب السويديين وقد كانوا يملكون شواطىء بحر البلطيق الشرقية فتغلب عليهم واخذها منهم وشيد مدينة بطرسبورج وأخذ (فلندا) وهى على الشرقية الشمالية لهذا البحر أيضاً فتمكن بكل ذلك لتحقيق اغلب مطامعه وقد ساعدته هذه الشواطىء والثغور التى تكلمنا عليها من الوصول الى غرضه فتركت الروسيا وهى مملكة ذات كلمة فى اوروبا وذات صولة في العالم

مات بطرس ولم ينفك كل قيصر عن اتمام غرضه فحاربوا الدولة العلية كثيرا لاسباب مختلفة يعتمدون عليها في الظاهر ولكن حقيقة لاغراض ولاسباب هى تنفيذ وصية بطرس . وقد عرفت الدول الاخرى مفترى هذه السياسة الروسية وخافوا على نفوذهم فوقفوا ضد الروسيا مع الدولة لاحبا فيها وانما حبا لنفوسهم ولكن على أى الاحوال فقد استفادت الدولة من ذلك كثيرا وليس من البعيد أن يكون الفضل في ذلك راجعاً اليها ذاتها اذ لما رأت نفسها ضعيفة من أسباب الثورات الداخلية وبعض المشاكل عمدت الى

السياسة الحيلية فاظهرت لاوربا الضرر من حروب الروسيه معها وان ذلك الضرر يعود بالاكثر على نفوذ اوروبا فانتصرت بهذه السياسة على الروسيا وكثيراً ما عمدت الى ذلك وانتصرت وأهم حادثة من هذا القبيل هى حرب القريم سنة ١٨٥٤

تلك كانت الحال بين العثمانية والروسية حتى سنة ١٨٧٧ وقد حصلت الحرب المشهورة وانتصرت فيها الروسية وقربت من الاستانة ثم عملت معاهدة (سان استفانو) بضواحى الأستانة التى اضعفت كثيراً في الدولة وكانت حدود بلماريا حسب هذه المعاهدة تصل الى شاطىء بحر الارخبيل أو بالاخرى الى شاطيء البحر الابيض المتوسط ولا يخفى ان الروسيا كان غرضها من استقلال بلماريا ان تضمها بعد ذلك الى املاكها فتكون هى القائمة مرتين وتصل الى البحر الابيض ولكن جاءت الرحمة من الله فعدلت المعاهدة بغيرها فى برلين وتغيرت جغرافية البلاد البلغارية الى ما نعرفها الآن فلما رأت ذلك الروسيا ورأت أنها تسعى وراء أمل طويل حولت وجهها شطر الشرق الاقصى لعلها تجد هناك ما يعوض عليها ذلك

هكذا تسعى الروسيا لنوال ثغورا عدة على بحار مهمة معروفة منها انها لاتستقيم في طريقها بغير البحار والثغور ، وقد اهتمت بالشرق الاقصي فانشأت خط سكة حديد سيبيريا ووصلت الى ثغر (فلادفوستك) ولكن هذا الثغر لايصلح للسياحة عدة شهور متواليات في فصل الشتاء فعمدت الى أخذ (بورت ارثور)وفتحتها للتجارة وحصنتها فخافت اليابان على نفوذها وهى دولة شابة لها آمال كبار ولا تريد أن يزاحمها احد في تلك المنطقة فاستعدت استعدادها المشهور وحاربت الروسيا حربها المشهورة فاغتاظت هذه ولكن ماذا تعمل لتنال غرضها ؟ رأت باباً آخر هو فى بلاد فارس وارادت أن تقوم هناك بعملها فلحقتها انكلترا والله أعلم بالمستقبل

وفى الاخبار الاخيرة الحديثة ان الروسيا طلبت من بلغاريا تصريحاً لتبنى لاسطولها الذى في البحر الاسود مستودعا للفحم فى ثغر (وارنه) التابع لبلغاريا

والشيء بالشيء يذكر فى التاريخ ان انجلترا كانت قد طلبت من المرحوم محمد على باشا أن يعطيها قطعة على شاطيء البحر الابيض لتجعلها مورد فحم لسفنها فرفض

ذلك محمد على وزاد على الرفض ان اهتم بالثغور المصرية وجعل الاسكندرية كأحد ثغور الفرنجة وشيد فيها اقلاع تحصينا لها وكذلك فعل على طول الساحل المصرى

ولو نظرنا الى شاطىء الصين مثلا نجد ان لبعض الممالك الاوربية ثغورا مهمة استحوزت عليها من مدة كل منها يود مراقبة انتشار نفوذ الاخرى فى تلك الاصقاع أو اذا اتفقت كلها على عمل استعمارى فى المملكة الصينية تأخذ كل منها المنطقة التى حول الثغر الذى هو تحت نفوذها الان وهكذا يولد من الثغر أو المرفأ الصغير ولاية أو مملكة كبيرة

إن ما يهمنا من البحث المتقدم هو معرفة ان للثغور أهمية عظيمة فى تقدم البلاد وحضارتها وان لاقوام لدولة عظيمة إلا بها . ولقد سمت كل من المانيا والنمسا مسعى الروسيا . فالمانيا تملك أعظم شاطئها على بحر البلطيق وهو بحر فرعي وليس لها إلا جزء قصير على البحر الشمالى والنمسا لاتملك الاثغر (تريست) لها خاصة و(فيوم) المجرولها شركة

ماذا عملت المانيا ؟ انتهزت فرصة طلب ملكة هولندا للزواج فسمت جهدها حتى زوجتها بأمير الماني على أمرها يرجع بعد حين اليها وقد ظهر هذا القصد ظهورا واضحا لكل العالم حينما ولدت الملكة مرتين ولم يعش لها خلف وخاف الفلمنك (أى الهولانديون) من ذلك فظهروا استياءهم فاضطر الامير الالمانى الى الابتعاد مدة عن دور الاعمال وأخذ يقضي وقته في القنص والرياضة ثم لما اعلن اخيرا خبر حمل الملكة فرح الشعب فرحا عظيما وأملوا خيراً ولما وضعت في ابريل سنة ١٩٠٩ الحالية بنتا ارتاح بال الشعب كثيراً ولو انهم كانوا يؤملون ولداً ذكراً ولكن ماكل ما يتمنى المرء يدركه

لم يكن الفرح من هذه الولادة للهولانديين فقط وانما لكل أمة يهمها عدم تقدم المانيا وامتداد نفوذها اذ قد كانت ترجوا أن تزيد امتداد شاطئها على البحر الشمالى بضم شاطىء هولندا اليها وليس هذا فقط عملها الوحيد بل هى تسعى في تقوية بحريتها

واما النمسا فقد وجهت نظرها الى ثغر سلانيك من مدة وهى تعمل جهدها للوصول اليه ولم يكن ضم البوسنه والهرسك الا للتقرب من ذلك شيئاً فشيئاً ولكن المستقبل بيد الله

حول نظرك الثاقب أيها المطلع الى سوداننا الافريقى ألا ترى أن تأسيس ميناء (بور سودان) سوف يعلى من قدره فيزيد تجارته بالصلة التى تحصل بين هـذا الثغر

السودانى والثغور الاوروبية والشرقية لوقوعه على بحر الصلة بين الغرب والشرق . نعم لاشك في ذلك فهو وان اضر بمصر من حيث صلتها التجارية مع السودان فقد أفاد هذا فئدة تذكر وأيضاً قد أزاد في أهمية البحر الاحمر زيادة سوف تظهر جليا

ومسألة (العقبة) ألم نقم وتشتد لما كان فى النية من اصلاح ثغرها وجعله بابا لسكة حديد الحجاز فى شمال البحر الاحمر كما ان جده فى وسطه وصنعاء فى جنوبه وكذلك كانت ستكون على طرف سكة حديد توصل البحر الابيض بالاحمر وتنافس قنال السويس في وظيفته

ولو نظرنا الى البلاد العديمة الشاطىء بالكلية نجد انها في ضيق شديد كأنها مغلقة بالسلاسل والقيود دائما في خوف على تجارتها وطرق مواصلاتها ولو كانت بينها و بين جيرانها معاهدات واتفاقات تجارية لسلامة الباب المفتوح — هذه هى الصرب لما رأت الصرب قد ضمت البوسنه والهرسك اليها هاجت هوائجها وزمجرت زماجرها وطلبت من قطعة أرض توصلها الى الشاطىء وعهد المسألة ليس ببعيد عنا — اما سويسرا فهي بلد على الحياد لايهمها ان كانت على البحر أولا الا بقدر ماتتكبده من المصاريف اذ لاممانع لها في ايصال ماتريد الى البحر من أي طريق تحب وفي أى وقت تشاء

والترنسفال ماغلبت على امرها الا لما سدت عليها طرق مواصلاتها الى البحر في البلاد المجاورة لها

فللامم في حاجة الى شواطىء ذات ثغور مهمة وانا نري ان أعظم الامم العصرية تملك أعظم المواني واكبر الثغور وهى انكلترا مالكة لناحية الجزر الكثيرة وسيدة للمستعمرات ذات الثغور المهمة

(درجات الثغور وانواعها) — تختلف درجات الثغور تجاريا أو حربيا باختلاف مواقعها فالثغور الواقعة على شواطئ البحار المهمة أو قرب مصب نهر عظيم أو عند باب مضيق مهم أو في جزيرة ذات خيرات مهمه أو موقع جميل للمواصلات البحرية كما تكون ذات أهمية للمجموع

أما أنواعها فتختلف أيضاً باختلاف المصلحة فالامم صاحبات الأساطيل الحربية

في حاجة الى مرافيء لارساء أساطيلها والى معامل بحرية لبناء السفن وتصليحها ليس فقط في نفس بلادها بل في مستعمراتها وأما الثغور التجارية فكل أمة في حاجة شديدة اليها كما بينا ذلك مقدما

وقد اهتم الاوائل والاواخر بتحصين الثغور بناء القلاع العظيمة والطوابى المحكمة على نظام حربى يكفل للمدينة الامان من البحر والبر ويحفظها من هجمات الاعداء ويصد عنها كل مشاغب طامع

وتحصين الثغور ضرورى خصوصا لدولة تملك ساحلا طويلا ولا تملك اسطولا كالدولة العلية ومصر ومملكة فارس مثلا من أمم الشرق وغيرها كثير من أمم الغرب . وهذا لايمنع من بناء الاساطيل فالجمع بين تحصين البر والبحر أعظم بكثير

ثم ان التحصين يختلف أيضاً فقد يكون الثغر موقعا حربيا كاملا ذات حامية عسكرية قوية شديدة البأس كموقع جبل طارق ومثل هذا الثغر هو الذى يجوز محاصرته الحصار الحربى ان بحراً أو برا أو كليهما معا وفي هذه الحالة يكون هذا المرفأ بابا للنحس والشقاء على الامة اثناء الحرب كما حصل في (بورت ارثور) منذ عهد ليس ببعيد وفي (كويبك) بكندا منذ زمن بعيد

اما الثغور التجارية التي لاحصن يحميها ولا ثكنة لعساكر فيها فلا يجوز حصارها اذ تعد ثغرا مفتوحا للتجارة — والتجارة حرة — ومن يخالف هذه القاعدة في الحروب فقد يلام ان لم يعاقب وفي كل من اللوم والعقاب حطة لدرجته واذهاب لشهرته وتسويد لتاريخه : ومن الحوادث التى من هذا القبيل مافعله الاميرال نلسون مع الدانمركيين فقد هجم باسطوله على عاصمتهم (كوبنهاجن) وهى من الثغور المذكورة لاجبارها على تسليم عمارتها الحربية لانها كانت موالية لنابليون في مؤامرته على منع المتاجرة مع انجلترا سنة ١٨٠١ وقد ليم الاميرال على هذا وكذلك كانت معاملة الحكومة الانكليزية لمدينة (بستون) بامريكا وسد ثغرها للتجارة ولكن كان ذلك من بعض دواعى الاسراع في اتمام الاستقلال الامريكى كما هو مشهور

ان مثل هذه الحوادث تضر ضررا بليغاً في تجارة البلد فتعلو فيها الأسعار ويحل

بسكانها الاعسار في حين ان المسبب لذلك يكون فرحا مسرورا سكران بخمرة الانتصار ولكن لا فخار بمثل هذا الانتصار لانه على بلد اعزل مسلمة من طبيعتها لا جبنا بل استئمانا

الى هنا قد بينا أهمية الثغور وانها باب سعادة لمن تيقظ واحترس . وباب شقاء لمن نام وغفل .

تمت التمهيدات ونخرج عنها الى ماهو عندنا أهم منها ذلك مايتعلق بمصر مما تقدم فنبحث (وسنختصر البحث) فى موقعها الجغرافي البحرى ملمين في بحثنا على البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر وهما بحراها ثم قنال السويس وتاريخه وفائدته لها ولغيرها ثم ثغورها ومرافئها اجمالا واخيرا الكلام على الثغر الاسكندري الزاهر ومافيه من المعالم والمفاخر بالتطويل اللائق والبحث الموافق



مصر

(بحارها وثغورها)

كان لمصر عظمة بحرية كما كان لها عظمة بريه فان رمسيس الثانى (سيزوستريس) وهو أحد فراعنتها العظام بنى اسطولا عظيما قيل ان سفنه بلغت ٤٠٠ سفينة عدًّا وكذلك بطليموس الاول كان له اسطول حربي تغلب به على فينيقيه و بلاد الشام واسطول آخر ولكنه تجاري وهو الاهم بلغت جواريه الى اقصي البلاد كالهند والفرس والحبشة و بلاد الصومال وغيرها . ثم انه فى الزمن الحديث كان لها على عهد المرحوم محمد على باشا اسطول عظيم أيضاً انتهى اجله في ثغر (نافارين) سنة ١٨ ببلاد اليونان وفى عهد الخديوى اسماعيل باشا كان لها عدة سفن تجارية عظيمة بيعت فى سنة ١٨٩٨ لشركة انكليزية ولم تزل وهى المعروفة بشركة البوستة الخديوية تسير بين مصر و بلاد اليونان والدولة العلية فى اوروبا واسيا الصغرى والشام و بلاد البحر الاسود وفي الحج هى التى تقدم فقط بتسفير الحجاج المصريين في ذهابهم الى البلاد المقدسة ومجيئهم منها

وان مصر الآن وهي في تقدم مستمر وصلاتها بين البلاد الخارجية تزداد يوما عن

يوم أحوج لامثال هذه البواخر مما كانت في ذلك الزمن وانها في زمن محمد على أي في أوائل القرن التاسع عشر ويكون لها اسطول عظيم يبنى فى ثغورها وهى في هذا الزمن وهو القرن العشرين مع زيادة مصالحها زيادة عظيمة جدا ولا يكون لها قيراط مما كان لها انه لامر يدعو ابناءها للنظر فيه بالاهتمام

ان مركز مصر الآن الاجتماعى السياسي مهم جداً فهى الصلة بين الشرق والغرب ولا يخفى كيف تكون اهمية الواسطة بين الدول العظيمة ومستعمراتها فى الصلات والتجارات وفضلا عن ذلك فان لاوروبا فيها مصالح عظيمة وصلة كبيرة حتى قال خديويها العظيم اسماعيل باشا من نيف وثلاثين عاما « ان مصر جزء من اوروبا »

وفضلا عن ذلك فان موقعها الجغرافي البحرى جعلها مجمع أهل المشارق والمغارب وهى واقعة من الشمال على البحر الابيض المتوسط ومن الشرق على البحر الاحمر وكلا البحرين ذو اهمية عظيمة

(فالبحر الابيض المتوسط) هو مركز عظيم للتجارة والتمدن في الزمن الغابر والحاضر فقد كان بطبيعة وجوده بين اوروبا واسيا وافريقا وبما فيه من الجزر الكبيرة المهمة موضعا تظهر على سواحله أعظم الممالك واكبر الامم وفيه كانت تسبح جوارى هذه الدول والامم ان كانت للتجارة أو للحرب وهو أعظم بحر علم من القدم وقد بقى كذلك حتى القرون الوسطى وحتى فتح الاتراك مدينة القسطنطينية وسدهم طرق التجارة في وجوه تجار الغرب من الوصول الي بلاد الشرق كما ذكره في التمهيد رقم ١ وما كان من اكتشاف أمريكا وطريق رأس الرجاء الصالح والاكتشافات الاخري التى تم معها اكتشاف بقاع المحيط الاطلانطيقى المجهولة وهذه الامور كلها حولت بعض اهمية البحر الابيض الى هذا الاقيانوس وما يتبعه من البحار الاخرى وصارت اهم الموانئ واقعة على شواطئه واكبر الطرق التجارية البحرية موجودة فيه ولكن لما دخل القرن التاسع عشر ظهرت فكرة توصيل البحر الابيض بالاحمر بالقنال المعروف الآن بقنال السويس وتم ذلك سنة ١٨٦٩ ومن ذلك العهد اخذ البحر الابيض يرجع من اهميته التى أخذ منها الاطلانطيقى بعد اكتشاف امريكا ، وانه وان لم يكن البحر الابيض الآن هو المركز البحرى الوحيد

للعالم كما كان في غابر الازمان فمن اتساع العالم بالاكتشافات الارضية سنة ١٧ وازدياد العمران وانتشار الحضارة والتمدن تقضي بأن يشترك معه في هذه الخاصة جميع البحار على السواء

ولكن مع هذا فأهميته عظيمة جداً لاتزول منه مادامت منابع الحضارة زاهرة زاهية على شواطئه

يقع على سواحل هذا البحر دول عظيمة بعضها قد رسخ قدمها في المدنية والبعض شابة سيتم دورها وأخر سوف تنمو وترقى وتتقدم وتتحضر : فهناك فرنسا ومستعمراتها في شمال افريقية وايطاليا وجزرها التابعة لها والنمسا وليس لها من المنافذ البحرية الاعلى هذا البحر وهناك الدولة العلية وولاياتها في اوروبا وآسيا الصغرى والشام وطرابلس الغرب وهناك مصر صلة الغرب والشرق وهناك الروسيا بالبحر الاسود وكذلك بلاد القوقاز ورومانيا وبلغاريا وغيرها كثير مما لايخفى على القارىء حالاتها التجارية وأهميتها الاجتماعيه العمرانية الامر الذي يزيد في اهمية البحر والثاني يزيد مصر اهمية ويقوي مركزها عمرانياً واجتماعيا

اما (البحر الاحمر) وهو الذي كان معروفا قديما بحر القلزم فانه وان لم يكن في اهميه البحر الابيض فهو لايقل عنه كثيرا وقد ازدادت اهميته خصوصاً بعد حفر قنال السويس

اما البلاد الواقعة على شواطئه فأهمها الحجاز واليمن في جهة آسيا ومصر والسودان والحبشة في افريقيا ولايخفى أن وقوع البلاد المقدسة الاسلامية على شاطىء هذا البحر تجعل له اهمية خاصة وكذلك موسم الحج الذي يشغل جزءاً عظيما من السنة تكثر فيه الحركة بين سفر الحجاج وايابهم

وهذا البحر هو الموصل الثاني بعد قنال السويس الى المحيط الهندي ومنه اما الى الشرق الاوسط والاقصى اوالى جنوب افريقيا

اما ساحل مصر على هذا الشاطىء فليس بمهم وليس عليه مدن مشهورة واقعة عليه اللهم الا (السويس) وهي تامة في اهميتها للقنال اكثر منها له و(الطور) وما هو الا محجر صحي للحجاج (والقصير) وهي قرية صغيرة ـــ ولكن قد يكون من الآن فصاعدا

اهمية تذكر لشاطىء مصر على هذا البحر وذلك لاكتشاف ينابيع الزيت الذى وجد قريباً

اما ساحل السودان فربما كان اهم من ساحل مصر اذ بناء مدينة (بور سودان) جعل هذا الشاطىء المنفذ الوحيد للسودان بل ربما كانت بور سودان سببا في زيادة اهمية البحر كله اما ساحل الحبشة فهو قصير جدا ولو عددنا خليج عدن من متممات البحر وان (جيبوتي) الواقعة فى افريقيا عليه وكذا (عدن) فى آسيا تزيدان في كفته اهمية لانهما بلدتان لدولتين عظيمتين وهما فرنسا وانكلتره وكلتا المدينتين محطتان لارساء السفن الماخرة بين الغرب والشرق

اما اليمن ولها الحديدة فهي ولاية مهمة ثم ان السكة الحديدية الحجازية لاتقلل من اهمية البحر بل تزيدها اذا تمت مجموع فروعها وشعبها فانها تتصل الى العقبة وكذا الى موانىء الحجاز واليمن

هذا هو البحر الاحمر وليس هو بنافع لمصر من جهة وقوع ساحلها عليه كما بينا ولكنه نافع لها من جهة وقوعها على قنال السويس ومن جهة بلاد الحجاز أو بالاحرى الاراضى المقدسة عليه

قنال السويس

تكلمنا على البحرين الابيض والاحمر وها نحن سنتكلم على ما ربطهما ببعضهما وكان سببا في ازدياد أهميتهما كما زاد فى اهمية مصر بل في تقدم المدنية والحضارة

(تاريخ القنال) — ليست مسألة ايصال البحرين الابيض والاحمر بقريبة العهد بل ان تاريخها يرجع لعدة قرون قبل الميلاد المسيحى اذ قد دلنا التاريخ بأن رمسيس الثاني هو اول من ابتدأ في حفر ترعة بين النيل والبحر الاحمر وبالتالى بين هذا والبحر الابيض وذلك سنة ١٣٠٠ واصلحها بعده الملك نيخوسنة ٦١٠ قبل الميلاد ايضا ثم اتمها دارا ملك العجم سنة ٥٢١ ولكنهم جميعاً لم يوصلوها الى البحر الاحمر خشية طغيان مائه على الاراضى لانهم اقروا ان سطحه مرتفع كثيرا عن سطح وادى النيل . وجاءت البطالسة بعد ذلك فأخذ بطليموس الثاني فى تجديد معالم الترعة مع عمل بعض التسهيلات وكذلك

اهتم بالمسألة بعض ملوك الرومان

ولما فتح العرب مصر أراد عمرو بن العاص أن يوصل البحرين رأساً فنعه الخليفة عمر بن الخطاب خشية اغارة الروم على البحر الاحمر الواقعة على شاطئه البلاد المقدسة الاسلامية كما أسلفنا ولكنه صرح بحفر الترعة بين النيل والبحر الاحمر وقد حفرها عمرو وسماها (خليج أمير المؤمنين) مبتدئاً بها من مدينةالفسطاس(مصر القديمةالآن) ماراً بالقاهرة فالزقازيق ثم الى البحر وقد دام استعمال هذه الترعة حتى زمن خلافة ابي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس اى سنة ١٣٤ هـ وسبب ايقاف الملاحة فيه هو خوف الخليفة من امداد الثائرين عليه بالمدينة المنورة

وقيل ان السلطان مصطفى الثالث العثماني اراد ان ينشيءالترعةوكذلك احد مماليك مصر ولعله الحاكم بامر الله الفاطمي سنة ١٠٠٠ للميلاد

وفي اواخر القرن الثامن عشر اى سنة ١٧٩٨ عند دخول الفرنسيس مصر ألف نابليون الاول لجنة لتبحث في هذه المسألة ولكنه فضلاً عما لاقته اللجنة من الصعوبات الزائدة فان تقرير مهندسها المسيو لوبير جاء خطأ كما ظهر بعد ذلك ، لانه قال ان سطح البحر أعلى بمقدار ٣٠ قدماً عن سطح البحر الابيض ثم عقب ذلك رحلة الحملة الفرنسية وهكذا لم يتم مشروع نابليون . ثم جاء محمد على باشا ولم يرض بحفر الترعة ولكن في زمن ولده سعيد باشا تمت المسألة وابتديء في العمل

وهكذا اخذت المسألة الدور الكبير من الامم القديمة والحديثة ومع مافي صحة اسناد الاخبار عن هذه المسألة الى من تقدم ذكرهم من الملوك خصوصاً القدماء من الشك فانها تدلنا بأن الفراعنة اشتغلت بها وكذا العجم والبطالسة والرومان والعرب والترك والمماليك والفرنسيس وأمرة محمد على التى تمت المسألة على يد احد افرادها .
ويقال ايضاً ان اهل البندقية وهم التجار بين الغرب والشرق في سالف الزمن كما اسلفنا سعوا عند ملك مصر قانصده الغورى لفتح هذه الترعة ليصلحوا من حالتهم التجارية التى ذهبت اهميتها بعد اكتشاف طريق رأس الرجا الصالح و بعد تحول السفارةالتجارية بين المشرق والمغرب الى ايدى اهل البرتغال ولكنهم لم يفلحوا في سعيهم خصوصا وقدكان فتح العثمانيين للبلاد المصرية فى ابان ذلك وهو ما حول الانظار عن سعي البندقيين .
والخلاصة التى نستنتجها مما تقدم ان هذا القنال ذو أهمية كبيرة شغلت نظر العالم

القديم والحديث.

(حفر القنال) ـ قلنا أن الابتداء في حفر القنال كان في مدة سعيد باشا وقد كان ذلك بمساعي المسيو فرديناند ديليسبس.

كان والد المسيو ديليسبس قنصلا لفرنسا بمصر في عهد محمد علي باشا وكان هو نفسه صديقاً لسعيد باشا مقربا منه محترما عنده واتفق انه طالع في بعض الكتب عن مسألة مساعي نابليون لحفر القنال وعن تقرير المهندس لوبير المتقدم ذكره فتنبه لهذه المسألة وأشغلته وأخذ يهتم بها كثيرا وصار يبحث فيها وبعد ما تصمماته وقد ساعده في ذلك تقرير أكابر المهندسين الفرنسيين والانكليز بخطأ المهندس لوبير فعرض مشروعه على سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وقبل منه كل رعاية ومساعدة

وبعد مناقشات ومخابرات طويلة تم الاتفاق بين الحكومة المصرية وشركة القنال التي أسسها بالطبع ديليسبس وابتدأ في العمل سنة ١٨٥٩ بعد ما صادفه من الصعاب التي كانت من جهة انكلترا. ودام العمل متواصلا حتى كانت سنة ١٨٦٩ فتم حفر القنال وحفر الترعة الحلوة بجانبه لتسقي المدن الواقعة عليه وكذلك تم بناء سكك حديدية بين هذه المدن وبين القاهرة وغيرها

(افتتح القنال رسمياً) ـ وجرى افتتاح القنال في عهد اسماعيل باشا فاهتم اهتمامه الكبير لعمل مهرجان الافتتاح عظيما جدا وليس ذلك مما يستغرب على هذا الخديوى فهو مشهور بحب الفخامة والعظمة وقد سافر الى أوروبا لدعوة ملوكها وأمرائها وعظمائها لحضور هذا الاحتفال وقد قبلوا دعوته وحضر الاحتفال الامبراطورة أوجيني وامبراطور النمسا وولي عهد بروسيا وولي عهد بلجيكا وسفراء الدول لدى الباب العالى وغيرهم من الامراء والكبراء

وكان الافتتاح في يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ (أي بعد ١٠ سنين من ابتداء العمل) فركب المحتفلون البواخر وقطعوا القنال من بحر الى بحر في زينة عظيمة جداً قيل أن ما صرف عليها من مال مصر يبلغ ٥٠٠ ألف جنيه



﴿ افتتاح قنال السويس ﴾

﴿صورة جامعة لقنال السويس والملوك الذين حضروا افتتاحه أو أرسلوا مندوبين عنهم﴾

(وصف القنال)—يبلغ طول القنال ١٦٠ كيلومترا ويوصل بين السويس على البحر الاحمر وبورسعيد على البحر الابيض . وعلى مقربة من (٦) كيلو مترات من شمال السويس توجد بعض حجارة من الغرانيت عليها اسم دارا ملك الفرس ويظن أنها بقايا بنايات كانت مشيدة على شاطئ مجرى الترعة القديمة السالف ذكرها والتي أتمها هذا الملك ، وبعد هذه البقعة بمسافة ١٠ كيلو مترات يدخل القنال في البحيرات المرة ويوجد على حافتها الغربية بعض آثارات قام بحفرها والبحث فيها المسيو ديليسبس وقد احصل على عدة حجارة من الغرانيت أيضاً منقوش عليها اسم دارا بالفارسي والهيروغليفي وعند قرب انتهاء البحيرة توجد صخرة كبيره عليها اشارة تدل على ان الذى قام بحفر تلك الترعة هو دارا الفارسي ، وقد بين مجرى القنال في البحيرات المره بخطى عوامات طول مدينهما من المسافة ٢٥ مترا وبعد أن يترك القنال هذه البحيرات يصل الى بحيرة التمساح الواقعة عليها مدينة الاسماعيلية وقد أنشئت حديثاً وكانت مركز الاعمال حين حفر القنال لوقوعها وسط الطريق ولم تزل للآن مقرا لادارة الشركة

وسميت بهذا الاسم نسبة لاسماعيل باشا فاتح القنال بها وهي بلدة كثيرة الحدائق جميلة المناظر

يترك القنال بحيرة التمساح ويمر في هضبة رملية ثم في بحيرة البلح وهي مستنقع يجف صيفا واقعة على نهاية مدينة القنطره وهي بلدة قديمه كانت ممراً للجيوش المصرية التي تذهب للغزو في آسيا وهي الآن محطة للقوافل الذاهبة من مصر الى العريش وبلاد الشام ، وعلى مقربة منها عدة اشارات شيدها رمسيس الثاني وبعدها يستقيم مجرى القنال مارا بجوار بحيرة المنزلة حتى يصل الى مدينة بورسعيد

*(نتائج فتح القنال)*ـــ لاشك في أن القنال قد جاء بالفوائد الجمة ليس فقط للبلاد المجاورة له بل للعالم كله ـــ اما من جهة مصر فقد أوجد لها مركزا خاصاً بها تهافتت عليه دول الارض العظيمة وليس ذلك بخاف على حضرات القراء ، ولكن مع ذلك قد أثقل كاهلها بالديون من جراء فتحه لان سعيد باشا لما رأى اعراض جماعة الملايين عن الدفع للشركة حتى تتمكن من القيام بالعمل ورأى ان ذلك حطة في قدره وهو الذي تعهد للمسيو ديليسبس أن يساعده مساعدة عظيمة حتى ينجز المشروع استدان بشراء ١٧٦٦٠٢ سهما من الشركة بثمن السهم ٢٠ جنيها كما كان مقدرا ودفع ثمنها وهذه الاسهم هي التي كانت لمصر واشترتها انكلترا من اسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ في وزارة اللورد بيكونسفيلد بمبلغ ٤ ملايين جنيها وتمن الآن بمبلغ ٢٥ مليون جنيها بمكسب ٧٠٠ الف جنيه سنويا اما ماصرف على القنال فهو ١٩ مليون جنيها دفعت منه مصر ماتقدم ذكره فضلا عما قدمته للشركة من العمال والاراضي وما صرفه اسماعيل باشا في سبيل فتحه

اما فائدة القنال من جهة منفعته فهي انه اتي بنتيجتين مهمتين يدخل تحتهما من النتائج الفرعية المهمة شيء كثير والنتيجتان هما : اولا تقصير طريق البحر فقد قلت المسافه بين الشرق والغرب بقدر النصف عما كانت بطريق الرجاء الصالح

ثانيا ـ تسهيل النقل وتقليل المصاريف فان التجار كانت تأتي بالتجارة الى الاسكندرية وهناك تفرغ من السفن وتشحن في السكة الحديدية الى السويس حيث تنقل ثانية الى السفن فتأخذها الى مكان توريدها وفي ذلك من صعوبة النقل وكثرة النقد مالايخفى . وهكذا كان يلاقي المسافرون ايضا في الانتقال أشد الصعوبات ولما حفر القنال وسارت

فيه السفن باسم الله مجريها ومرسيها ارتاح الخلق من العناء وسهلت وسائل السفر وكثر الرائحون والغادون خصوصاً بعد ان تمكنوا من تسيير السفن ليلا بواسطة انارة الطريق بالنور الكهربائي

ويمر سنويا في القنال ٣٩٠٠ سفينه اكثر من نصفها انكليزية وتدفع السفينه عن الطن الواحد مبلغ ٨ فرنكا ونصف وعن الشخص الواحد ١٠ فرنك فدخل الشركة يتراوح بين ٤ و٤ ونصف مليونا من الجنيهات سنويا . وهذه الشركة هي التي تقوم بادارة القنال من كافة الامور وتوزع الارباح على أصحاب الاسهم وهي مختلطةأى دولية رئيسها الآن فرنسي ويبقى القنال تحت ادارتها حتى سنة ١٩٦٩ وقد ترد في الصحف السيارة ان الشركة تنوى طلب مد مدة امتيازها ، وقنال السويس على الحياد تبعاً لما قررته اللجنة الدولية المنعقدة في باريس سنة ١٨٨٥.

﴿ ثغور مصر ﴾

(١) الثغور الكبيرة :ـ الاسكندرية ـ بورسعيد ـ السويس

(٢) الثغور الثانية :ـ دمياط ـ رشيد ـ القصير ـ العريش

(فالعريش) بلده على البحر الابيض عند حدود مصر الشرقية من جهة بلاد الشام ارضها رملاء جرداء لاينبت فيها غير النخيل الذى تصدر منه البلح وبعض اشجار الرمان ويعيش سكانها من مرور القوافل بين مصر والشام وحمل البضائع على ظهور الجمال ويوصل اليها اما من بورسعيد بحراً او من القنطرة براً

(القصير) ثغر صغير على شاطيء مصر فى البحر الاحمر تبعد عن قنا بمقدار ١٢٥ ميلا او مدة (٦) أيام سيرا بالدواب والطريق ملآى بالآبار وقد كانت مهمة حين كان الحجاج المصريون يمرون بها عند ذهابهم للحج ولم تزل مركزا للتجاره فى تصدير البلح وتوريد الحيوانات وتجارتها مع سواحل السلطنة العثمانية فى البحر الاحمر وقد تزداد اهميتها لو انشىء بينها وبين مدينة قنا خط حديدى

(رشيد) بلدة واقعة عند قرب مصب الفرع الغربي للنيل بالبحر الابيض تصلها السكة الحديدية من الاسكندرية أو سيدى جابر وقد كانت ذات تجارة واسعة في الزمن القديم ولكنها الآن قد ذهبت نضارتها بعد حفر ترعة المحمودية لتحول الاهمية الى الاسكندرية وبها الحدائق والنخيل وفواكهها اللذيذه وبلحها مشهور اما تجارتها الآن فاهمها الارز الرشيدى وغالبا مع الثغور المصرية كالاسكندرية ودمياط . وهى مشهورة بالملحمة التى حصلت بين محمد على والجنود الانكليزية التى انتصر عليها سنة ١٨٠٧ وبالحجر الاثرى العظيم الذى وجد فى تل بجنوبها سنة ١٧٩٩ وبواسطة هذا الحجر المنقوش عليه كلام بالهيروغليفية واليونانية والقبطية تمكن احد علماء الفرنسيس من حل رموز لغة قدماء المصريين

(دمياط) مدينة قديمة العهد جدا واقعة عند قرب نهاية فرع النيل الشرقى فتبعد عن البحر الملح بمقدار ١٠ كيلو مترات وعن بحيرة المنزلة بمقدار كيلو مترين وقد فتحها العرب حين فتوح مصر وصارت بعد ذلك من ثغور الاسلام العظمى

وقد كان للفرنج فيها مطمع فى حروبهم الصليبية مع المسلمين في القرون الوسطي اذ هاجموها مرارا ونهبوها واشهر هذه الحملات ما كان تحت قيادة الملك سان لويس سنة ١٢٥٠ ميلادية والذى تخلى عنها بعد أسره فى مدينة المنصوره واحسن وصف لها فى القرون الوسطي ما قاله احد رحالة العرب : « دمياط مدينة فسيحة الاقطار عجيبة الترتيب متنوعة الثمار اخذت من كل حسن بنصيب وهي على شاطئ النيل واهل الدور الموالية له يأخذون منه الماء بالدلاء وكثير من دورها بها درجات ينزل فيها الى النيل وغنمها سائمة هملة ليلا ونهارا واذا دخلها أحد لم يكن له سبيل الى الخروج منها الا بأمر الوالى »

وقد كانت ذات تجارة كبيرة واسعه خصوصا في انواع الحرير المعروف الآن (بالكريشه) وانواع دباغة الجلود وعمل الفسيخ والبطروخ من السمك المستخرج غالبا من بحيرة المنزله الواقعة على مقربة منه (المطريه) المركز الكبير لصيادى اسماكها والمدينة مشهورة ايضاً بزراعة الارز الذي كان يصدر منه الى بلاد الشرق الاقصى المشهورة بولوعها فى أكله وبها ايضاً معامل لدقه واخراج القشر منه

وبقربها عند مصب النيل مصيف رأس البر الذى يزدحم ازدحاماً عظيماً بمن يقصده من طلاب الاصطياف في اشهر الصيف وتزداد الصلة بينه وبين بلاد القطر فتسير السفن البخارية لتحمل مايحتاج اليه المصيفون . وبشاطىء النيل المقابل له فنار لارشاد السفن ليلا

﴿ السويس ﴾ ثغر القطر الثالث ابتدأت اهميته بحفر القنال وهو واقع على رأس الخليج الخارج من البحر الاحمر المسمى باسمه . وعلى الطرف الجنوبي للقنال وبالقرب من مدينة القلزم القديمة (كوم القدم الآن) التى كانت أهم ثغور مصر على شاطىء البحر الاحمر

وقبل حفر القنال لم تكن السويس شيئاً مذكوراً فكان لايقطنها الا عدد قليل وذلك راجع لعدة أسباب أهمها صعوبة الحصول على المياه العذبة ولكن في سنة ١٨٦٣ وصلتها مياه النيل بحفر ترعة الاسماعيلية وبلغ سكانها الآن (١٧) الف نسمة تقريباً

وليس في المدينة نفسها شيء يلفت الانظار كثيراً ولكن ميناءها جديدة كبيرة تنقسم بفاصل الى قسم للمراكب التجارية وقسم للمراكب الحربية . ومع اهمية هذه الميناء فان المراكب لاتجعلها محطة تقف فيها اذ تكتفي بالقاء المراسي في بور سعيد

والميناء في جزيرة كبيرة نشأت من الردم المستخرج وقت حفر القنال وتبعد عن المدينة مسافة ثلاث كيلو مترات الى الجنوب ويربطهما جسر عليه سكة حديدية ؛ وفي تلك الجزيرة ايضاً عند الميناء البلدة الصغيرة المسماة (بور توفيق) وشارع كبير عند نهاية تمثال للضابط (واجورن) الانكليزى الذى سعى كثيراً لاقناع انكلترا فى اتخاذ الطريق البرى بواسطة برزخ السويس لنقل البريد الهندى في مدة اقصر من الطريق المعتاد بيومين وقد مات هذا الضابط يائساً ولم يتحقق غرضه فاقام له هذا التمثال المسيو ديليسبس !

اما مدخل القنال فهو يشرق الجزيرة وله اشارات خاصة لذلك والسبب في مد القنال الى هذه النقطة هو المد والجزر الذى يحصل فى البحر — وللمناسبات نذكر ان المد فى في هذه الجهة كاد ان يغرق نابليون الاول حيث فاجأه اثناء على حين غفلة منه

وفى شمال المدينة تصب ترعة الاسماعيلية ومستوى مائها أعلى من سطح البحر بمترين وأهم مايذكر من ضواحي المدينة بعد مدينة القلزم القديمة هي (عيون موسى) وتبعد عنها مسافة تسع كيلو مترات فى شبه جزيرة طورسيناء وقد كانت مورد شرب لسكان

السويس قبل حفر ترعة الاسماعيلية وهي عيون واسعة بعضها مالح ماؤه قليلا ويقال أنها آثار انفجار الماء بعد ان ضرب سيدنا موسى بعصاه فى الحجر بأمر ربه — قال تعالى (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتى عشرة عينا)

وللسويس ميزة الآن بمرور المحمل المصرى والحجاج المصريين بها عند تأديتهم فريضة الحج الشريف

(بورسعيد) ثغر حديث نشأ مع نشوء القنال في أيام والى مصر سعيد باشا ولذا سمى على اسمه وهو فى مكان من الارض على شاطئ البحر الابيض بين بحيرة المنزلة والقنال . وقد كان أولا مركزاً لبعض الشغالة ومكاناً فيه بعض المعامل والآلات اللازمة في حفر القنال فتبدل الى أن صار كما نراه الآن الثغر الثاني للقطر المصرى يمر منه سنويا من صادراته ووارداته ما يبلغ قيمته ٢ مليون جنيه تقريباً

وهو محطة للفحم تأخذ منه السفن المارة به ويقدر مقدار الفحم المخزون فيه بمقدار ما يرد للقطر المصرى كله وتقف فيه البواخر وبه مكتب لشركة القنال جميل البناء على شاطئ الميناء

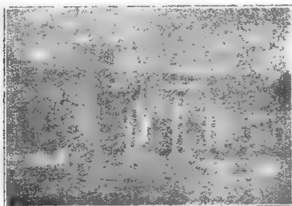
تصل الى المدينة المياه العذبة من ترعة الاسماعيلية في أنابيب واسعة تجاه القنال من شاطئه الغربي وكانت السكة الحديدية الواصلة اليه تابعة لشركة القنال وهي خط ضيق فشترتها مصلحة السكة الحديدية للحكومة واستبدلتها بمثل خطوط هذه المصلحة . والبلدة جميلة المنظر جديدة البناء واسعة الطرق تنقسم الى حيين عظيمين أحدهما للفرنج وهو الشرقى والآخر للوطنيين وهو الغربى ويبلغ مجموع سكانها ٢٥ ألف نسمة حسب آخر تعداد . يسير فى أهم شوارعها عربات (الامنبوس) تجرها الخيول على شريط حديدى وشارعها الكبير هو الموازى للقنال وبه تمثال للملكة فكتوريا ملكة الانكليز والمدينة مقر محافظة القنال

أما الميناء فواسعة عظيمة يبلغ مقدار عمقها ٨ أمتار يحميها رصيفان طويلان داخلان فى البحر العربي تمتد في استقامته لمسافة ٢ كيلومتر ونصف والآخر الشرقى يمتد من نقطة بعيدة عن مدخل القنال للجهة الشرقية فى خط يميل قليلا قليلا حتى يكون بينه

وبين الرصيف الغربي مقدار ثلاثة أرباع الكيلومتر أما المسافة بينهما من جهة البر فهي ١٤٠٠ متراً أما طوله فهو ١٦٠٠ متراً . وهذان الرصيفان يمنعان الطمي الخارج من النيل عند مصبه الشرقي من الوصول الى الميناء وكل سنة يزاد الرصيف الغربي أحكاما وتطويلا وبقربه على الشاطىء يوجد الفنار العظيم امثاث النور أي يخرج منه النور الكهربائي في ثلاث خطوط من الاشعة ويصل الى عشرين ميلا في البحر تقريباً . وعند مدخل الميناء تمثال للمسيو ديليسيس صاحب مشروع حفر القنال . وليس للمدينة ضواح مهمة غير انه يوجد بالقرب منها غربا لسان من البر بين البحر وبحيرة المنزلة يسمى اشتوم الجميل وهو مركز من مراكز الصيادين الكثيرة في البحيرة . وللحكومة المصرية مشروع في بناء سكة حديدية على جسر وسط هذه البحيرة يخرقها من بورسعيد الى بلدة المطرية ولاشك ان هذا الخط يزيد أهمية المدينة التي تنافس الاسكندرية في حركتها التجارية

الاسكندرية

اليك التفصيل الوافي عنها اذ هي أكبر مرفأ في أفريقيا وأهم الثغور المصرية يمر بها (٩٧) في المائة من صاداتها و(٩٠) في المائة من وارداتها ويبلغ عدد سكانها (٣٢٠) الف نسمة منهم (٥٠) الف من الاجانب ، وهي مقر الحكومة المصرية صيفاً حيث يقطنها سمو الخديوي والنظار وسراي رأس التين بها كسراي عابدين بالقاهرة



اما نظاماتها فان لها بلدية تقوم بنظافتها وامور ترتيبها وتصل اليها المياه الحلوه بواسطة ترعة المحمودية التى انشأها محمد على الكبير سنة ١٨٢٠ وقد افادتها هذه الترعة ليس فقط فى ايصال المياه اليها بل وفى نقل البضائع وزيادة حركتها التجارية بما سهلته من طريق الوصول اليها قبل ان انشئت السكة الحديدية بينها وبين القاهرة

وهي الآن تعد مركز التجارة الوحيد في القطر المصرى ففيها مصلحة الجمارك العمومية وبورصة التجارة الكبرى وشركات البواخر وغيرها

اما ميناؤها فكبير جداً تتعامل معها شركات كثيرة وقد اوسع بوغازها حتى تتمكن اكبر المراكب من دخولها ويحميها رصيف حجرى انشأه الخديوى اسماعيل باشا ليجعلها اكثر هدوا وسكوناً وهو عبارة عن احجار كبيرة موضوعة على امتداد طويل مبتدئا من طرف رأس التين بهيئة قوس يبلغ طوله ٣٥٠٠ متر يأخذ بداخله جميع الميناء وحجارة هذا الرصيف غير طبيعية وانما تصنع خصيصاً لذلك من زلط واسمنت ومواد اخرى فى مكان بجهة المكس وهى موضوعة على غير نظام فى البناء غير أن بآخر الرصيف مسافة رصت حجارتها رصاً منتظماً

وللاسكندرية فنار عظيم البناء بجهة رأس التين يصل ضوءه الى مسافة ٤٠ ميلا وقوة نوره ستة آلاف شمعة وينار بغاز الاستصباح (انظر الكلام على آثار الاسكندرية بعد) اما طوابيها فهي خربة وبعضها قد درس وللبلدية حق استبدالها بمتنزهات! أما طابية كوم الناضورة فهي موضع يشرف على علي بمعة في المدينة وكان قد شيد عليها نابليون الاول أيام عهده بمصر حصناً منيعاً وهي الآن خالية من كل صبغة حربية وتحولت الى مرصد صغير وظيفته ملاحظة البواخر الخارجة من الميناء والداخلة فيها ثم اطلاق مدفع الظهر ومعرفة الاحوال الجوية

أما هواء الاسكندرية وضواحيها فهو عليل بليل ولذا يؤمها كثير من سكان المدن الداخلية أيام الصيف هربا من حرارة الجو وتكثر فيها الامطار شتاء وقد يدوم هطولها عدة أيام متواليات

اما اهلها فلهم من الاخلاق ما يغبطون عليه فهم مشهورون بحب الشغل والجد فيه

قال المؤرخ جيبون الانجليزى عن الاسكندرية قديماً :(ان الكسل لم يعرف فيها فالناس من جميع الاجناس ومختلف الاعمار حتى الكفيف والاعرج كل منهم يشتغل في اى مهنة تكفل له حسن معيشته). ويغلب فيهم المزاج العصبي فهم اهل نباهة وحدة يتباهون بالفتوة ويفتخرون بالشجاعة . لايطيلون المزاح كثيراً وانما هم للنشاط والجد لايتهم بينهم امرؤ حتى يسرى اليه حب العمل

فلو اعتنوا بانفسهم كثيراً وهذبوها وعموها واصلحوا معوجها كانوا قوة عظيمة لانهاض الامة وافادوا بلدهم ومصرهم فائدة تذكر

ضواحى الاسكندرية : ﴿ الرمل ﴾

وهو في شمالها الشرقى على امتداد الشاطيء ثمانية اميال تقريبا . وسمي بالرمل لان ارضه رملية وقيل أنها محرفة عن لفظة (برامبوله) التى معناها (معسكر) بلغة الرومان الذين اقاموا معسكراتهم قديما فى هذه الجهة

والرمل مشهور بطلاقة هوائه وجمال مناظره لاتساع دائرته وعلو اراضيه وخلوه من مثل المستنقعات ولمراعات قوانين الصحة فى تخطيط طرقه وتشييد ابنيته ولكثرة وجود الجنائن الكبيرة وقلما يخلو منزل من حديقة صغيرة كانت او كبيرة

وكان به في الصيف موسما كموسم مكة والمدينة في اشهر الحج فيؤجر اصحاب البيوت بيوتهم بأثاثها لمدة شهور واكثر هؤلاء المؤجرين هم الافرنج الذين يرحلون الى اوروبا في الصيف فيقبل المصطافون على تأجير منازلهم اقبالا غريباً . وفضلا عما في الرمل من كافه اللوازم المعاشيه فان صلته بالاسكندرية سهلة جداً حيث يسير الترام بكثرة وسكانه العديدون كثيرو التردد على المدينة فترى الترام يشتغل اشتغالا عظيما

واهم محطة فيه هى سان استفانو وذلك لوجود الكازينو بها وحمامات البحر للسيدات والرجال التى يكون الاقبال عليها عظيما جداً ايام الصيف

﴿ المكس ﴾

وهو عبارة عن قرية صغيرة بينها وبين الاسكندرية مايقرب من مسافة تقطع في نحو نصف ساعة بالترام الذى يمر علي حي كبير هو القبارى وعلي محطة سكة حديد

مريوط التى بناها سمو الخديوى الحالى . وهو طيب الهواء يصح للاصطياف غير أن لااستعداد فيه للمصيفين مثل مافي الرمل وبالقرب منه توجد ملاحة مريوط وهى التى يستخرج منها ملح طعامنا تبلغ مساحتها ٣٦ كيلومتراً مربعاً وما يقطع منه سنوياً كيلومتر مربع واحد

أما كيفية حصول الملح فهو انه في الشتاء تهطل الامطار بكثرة فى هذه الجهة الواطئة وتبقى حتى فصل الصيف فتتبخر المياه ويرتب الملح فى طبقات يختلف سمكها من ملليمتر واحد الى ١١ سنتيمتر ، وبعد جفاف المياه تماما تبتدى الشركة في مد الخطوط الحديدية الضيقة النقالى وتقسيم الاراضى الى أقسام ليقطع منهـا الملح كما يعزق الفلاح الارض ثم يشحن في عربات السكة الحديدية الضيقة وينقل الى المخازن حيث يصرف منه طول أيام السنة عندماتكون الملاحة مغمورة بالمياه ولاأثر للملح في وقت الشتا

ومن لذيذمايحكى عن الملاحـة انه اذا وضع فى مائها وقت الشتا أى شي مثل عصا أوقاس أونحو ذلك فعند تبخر الماء يرتب الملح على جميع أجزاء الشيء الموضوع وقـد شوهدت مرة حمامة ضربها أحد الصيادين ولم يتمكن من أخذها لسقوطها في مياه الملاحة أيام الشتاء فلما جاء الصيف وجفت المياه وجدت حمامة ملحية ! اى غطاها الملح بدرجه متساوية متناسبه على منقارها وجناحيها ورجليها وجميع ريشها

أبو قير

هى أبعد ضواحى الاسكندرية تربطها واياها سكة حديدية أول محطاتهاسيدى جابر وتمر على محطة المنتزه وبها سراى المنتزة المشهورة التى يقيم فيهاسموالخديوى يوم أن يكون بالاسكندرية صيفاً وبهذه البقعة أراضى زراعية تأتيها المياه العذبة من المحمودية

أبو قير قرية صغيرة جداً مشهورة بالواقعة البحرية التي حصلت بين الاسطول الفرنساوى والاميرال نلسون الانكليزى سنة ١٧٩٨ في خليجها وبالواقعة البرية سنة ١٨٠١ التى انتصر فيها جيش من الانكليز على الفرنساويين واضطرهم للرحيل وترك البلاد لاهلها ! وقد حصنها محمد على باشا وبنى فيها قلاعا مهمة ثم استعملهاسعيد باشا كمنفى

لضباط جيشه وجدد تحصينها اسماعيل باشا ولكنها الآن خالية من كل ذلك وقد يصطاف فيها عدد ليس بالكثير

— حمامات الاسكندرية البحرية :

كثير ممن يقصدون الاسكندرية في الصيف يكون غرضهم الاستحمام بماء البحر الملح وليس من ناكر ما لهذه الحمامات من فائدة ولكن من الواجب على طالب الاستحمام أن يستشير الطبيب قبل النزول في الماء

قالت الاطباء ان حمام البحر ليس مفيداً فقط لمائه وانما لهوائه ومنظره ايضاً حيث تمد الرئتان هواء نقياً خالياً من المكروبات وتنشرح الصدور وينعم البال وتطيب الخواطر بمنظره الجميل

أما ماء البحر فيحتوى على مواد معدنية والبحر الابيض المتوسط هو أكثر احتواء لها من نفس ماء الاقيانوس ويحتوى من هذه المواد بكثرة على ملح الطعام واليود

وقد وصف أحد الاطباء حمام البحر فقال « أنه علاج دقيق كالسيف ذى حدين يجب على من يريد الانتفاع به أن يكون ماهرا في استعماله حتي لايجرح نفسه » فهو منبه فعال ويساعد على ازالة الامساك المزمن وينفع أصحاب الاعمال العقلية كتلاميذ المدارس العالية والكتاب والمؤلفين والمصورين والموسيقيين الخ

واما تأثير الحمام على الجسم فهو عظيم اذ بمكافحة الامواج وتلاطمها عليه يتنبه ويجرى الدم في عروقه . واول مايشعر به الانسان عند دخوله الماء قشعريرة برد لاتدوم ويليها رد فعل فيسخن الجسم وتقوى العضلات وبذا يزداد المرء قوة ونشاطاً ولا بد من الحركة في الماء والا يبرد الجسم ويستحسن نقل مايأتى لزيادة الفائدة من احد اعداد مجلة (طبيب العائلة) الشهيرة قالت :

— قانون حمام البحر :

١ — لاتأخذ الحمام بعد انفعال شديد

٢ — امتنع عن الحمام اذا شعرت بتوعك او اضطراب

٣ — اجتنب الاستحمام بعد ليلة لم تذق فيها لذة النوم او بعد تعب شديد

٤ — لاتجر ولا تبد حركات شديدة وانت ذاهب الى الحمام
٥ — لاتسبح في مكان تجهل مقدار عمقه
٦ — انزع ثيابك على مهل ومتى انتهيت من نزعها انزل حالا في الماء
٧ — السابح الماهر يغطس راسه قبل كل شيء وعلى كل حال بل راسك في اقرب وقت
٨ — اخرج من الماء حال الشعور ببرد
٩ — عند خروجك من الماء ادلك جسمك جيداً والبس ثيابك سريعاً واسرع في المشي

١٠ — اذا كان قصدك من الحمام الرياضة والالتهاء فابق فيه طالما تشعر بلذة منه وأما اذا كان غرضك المعالجة بواسطته فلا تنتظر حتى يخرجوك منه »

وقالت في عدد آخر عن المكث في الحماء والوقت الموافق للاستحمام ما يأتي وهو قول طبيب كما هو معلوم : « المكث في الحمام برهة وجيزة يرطب الجسم كله أما طول الاقامة فيه فينهبه . والافضل لضعفاء البنيه الاستحمام وقت الظهر قبل الاكل لان البنيه تكون قد اكتسبت حينئذ قوة من طعام الصباح وتكون المعدة قد هضمت مافيها من الاغذية . أما المتمتعون بصحة جيدة الذين يستعملون الحمام لمجرد رد الفعل وتقوية البدن فالافضل لهم النزول في الماء قبل شروق الشمس أو بعده بقليل حيث يكون ماء البحر بارداً وتأثيره أشد وعليهم أن لايمكثوا فيه أكثر من ١٠ دقائق وعلى كل حال يجب بوجه عام على من يريد الاستحمام أن تكون معدته خالية من الطعام ويكون الهضم قد تم فيها وان يمشي قليلا او يعمل تمريناً عضلياً قبل النزول فى البحر . أما الذين يطيلون السهر ويتأخرون فى النوم فالافضل لهم عمل الحمام قبل الظهر وليس فى الصباح ولا يكون الطعام بعد الحمام الا اغذية خفيفة مقوية كاللبن والقهوة والبيض والمربات والزبدة وماشابهها » اه

— تاريخ الاسكندرية :

من الدول الكبيرة التي حكمت مصر في غابر الازمان دولة الفرس اذا افتتحها قمبيزها العظيم ودام فيها ملكهم حتى اخذها منهم الاسكندر المقدوني وشيد فيها مدينة الاسكندرية سنة ٣٣١ قبل الميلاد وعهد بتخطيطها لاحد مهندسيه الماهرين وجعلها عاصمة الديار المصرية واوصى ان يدفن فيها قبل موته ويقال انه بقي مدفوناً فيها سنتين ثم نقل منها

ولما مات وتجزأت مملكته بين قواده خصت مصر بطليموس الاول المسمى (سوتر) وقد أسس فيها حكومة قامت على دعائم العلم والعرفان كان مركزها مدينة الاسكندرية التى اهتموا بها كثيرا حتى جعلوها أهم موانى البحر الابيض المتوسط وطارت شهرتها بالتجارة والعلم فى كافة البلاد الاجنبية .وشيدوا فيها دارا للكتب اشتهرت بوجود كتب اليونان الاقدمين ويرجع الفضل في حفظ هذه الكتب النفيسه لهذه المكتبة ثم بنوا بها مرصدا فلكيا ومدرسه درس فيها أكبر الفلاسفة والعلماء اليونانيون منهم (اقليدس) الرياضى المشهور وهكذا دامت الاسكندرية زاهية زاهرة مدة حكم البطالسة خصوصا الثلاثة الاول ثم أخذت البلاد الاخرى تعلوها شيئاً فشيئاً حتى عهد (كلوباتره)وحصول الوقائع الحربية بينها وبين الرومانيين واستحوز هؤلاء على مصر وجعلوا الاسكندريه في مقام لايعلوه الامقام رومه عاصمة الامبراطورية

وفى سنة ١٨ هجرية دخل عمرو بن العاص مصر ولم يصادف صعابا فى فتح البلاد الا في الاسكندرية لحصانتها ولكنه دخلها سنة ٢٠ هجرية أو (٦٤٠) ملاديه

ومن ذلك العهد لم يهتم بها حكام مصر كثيرا وتحولت أنظارهم الى المدن الداخلية وقد ساعد على ذلك الاهمال بناء مصر القديمة ثم تشييد القاهرة . وقيل ان سكانها بلغوا ٥ آلاف شخص وقت دخول الفرنسين مصر سنة ١٧٩٨

أما محمد على باشا الكبير فهو الذى أحيى موانها اذ اهتم بها كثيراً وأسس المداوس الملكية والحربية وشيد دور الحكومة ونظمها وجدد ميناءها وبنى الترسانات والاساكل وأنشأ أسطولا حربياً وأمد المدينة بماء النيل وأصلح طوابيها واقام المعامل الصناعية لكافة اجناس البضائع التى يحتاج اليها اهالى القطر وكان ينسج فيها القطن الذى احضر بزره الى مصر وهو النسيج المعروف (بغزل التور)ــ وقد اقتفي آثاره خلفاؤه في الاهتمام بها وصيرها الخديوى اسماعيل باشا كمدينة افرنجية بما شيد فيها من القصور وما اقام من المتنزهات وباصلاح مرساهاــ وهاهي اليوم تذكر فضل السابقين وترجو اهلهاان يهتموا بها كثيراً ولعلهم فاعلون

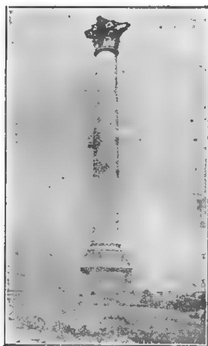
ـــ آثار الاسكندرية :

(١) فى المتحف

للمدينة متحف بجوار المجلس البلدى يجمع بين جدرانه كل مايختص بتاريخها القديم

ايام اليونان والرومان والقبط المصريين ففيها تماثيل امبراطرة الرومان وعظمائهم وتمثال العجل ابيس ومجموعة عظيمة من النقود الرومانية والقبطية القديمة ذهبية وفضية ونحاسية في غاية من الاتقان الغريب حتى انها لتقارب العملة المتداولة للآن بين ايدى الناس. وهناك حلى من الذهب وغيره على اتقان محكم مع سلامة الذوق فى التنظيم يخص منها بالذكر تاج لاحدى الاميرات المصريات في عهد الرومان فهو مجموع حجارة ثمينة من زمرد وياقوت مصاغة في ذهب على شكل الزهر الجميل وكورق الشجر

(٢) عامود السوارى



(عامود السوارى)

هذا العامود من انفس ماخصت به تلك المدينة فهو عنوان على عظمتها وعلم من اعلام آثارها القديمة

انك تجده فى احسن ما اتقنته يد البشر من النحت واجمل ما ابقاه الدهر

من العصور الخـــالية لهذا الوقت . وهو مصنوع من حجر الجرانيت الوردى مشيد على صخرة ومركب من خمس قطع حجريه :ــ التاج وهو قطعتان والبــدن والقاعدة وهي قطعتان ايضاً . ويبلغ ارتفاعه كله ٢٨ مترا تقريبا للتاج منها ثلاثة امتار وكسور وطول اعظم قطر في البدن مترين وسبعين سنتياً تقريباً واما ضلع القاعدة فهو اربعةأمتار ونصف

يرجع عهد هذا العامود لحوالى سنة ٣٠٠ بعد الميلاد ولقد اختلف المؤرخون فى من شيده ولمن شيده ولماذا شيده . واكثرهم يقول انمن شيده هو (بومبيوس)الوالى الروماني تذكارا لامبراطوره (دقلطيانوس) اما من يقول هذا القول فانه يستند على جمله منقوشة على القاعدة باللغة الهيروغليفيه ترجمت بما يأتى : (الى الامبراطور العزيز العقل حامي الاسكندريه دقلطيانوس الجليل قد كرس هذا الاثر البك بو ... والى مصر) ــ واسم الوالى هنا لم يذكر تفصيلا وذلك لخدش فى النقش ولكن الذين استقصوا الاخبار اسندوا تشييده لبومبيوس المذكور

وبعض الباحثين يقول أن شكل العامود النحتى لايرجع لعهد دقلطيانوس وانما لعهد الامبراطور (سبتيم سيوير)وان قاعدته قد استبدلت بأخرى هى الموجودة الآن وانه قد نقش عليها ماذكر ترجمته وهؤلاء يستندون على ذلك بلونها المغاير للون العامود الاصلي ، ويقال انه كان بأعلاه تمثال من النحاس متجه نحو السطنطينية

أما اسمه الآن المتداول بيننا وهو (عامود السوارى) فهو محرف كماقيل من لفظة (سيوير) لعسر نطقها وليست سوارى جمع سارية . والله أعلم

وبجواره نحت في باطن الارض ينزل اليه بسلالم من مكان كالبئر ولكنه أوسع ، ويمتد هذا النحت الى اسفل جدار العامود اى ان هناك خلوا تحتقاعدته ويقال ان هذا النحت كان ظنا بوجود كنوز ثمينة تحته ويقال أنها قبور

(٣) كوم الشقافة

هى دهاليز منحوتة داخل الارض ينزل اليها بطريق حلزونى أصلى من الحجر المنحوت وعلى جانبي كل دهليز المقابر المختصة بالوجهاء والامراء أو العبيد والخدم وهي فى غاية من دقة النحت. احجارها مزخرفة ومنقوشة نقشاً جميلا وبعض حيطانها ملون بالوان جميلة والمظنون أنها كانت كلها كذلك

وفي المقابر بعض جثث محنطة وبعضها غير محنط وهم الخدم وبالمكان حجرة ملأى بقدر من الفخار كانوا يضعون فيها رماد موتاهم المحرقين — وعلى حائط احدى الغرف الاولى صورة منحوتة تمثل احدى الفراعنة وهو يقدم القربان للعجل ابيس امام (ايسيس) ذي الاجنحة وهذه الصورة بديعة جداً لم تمسها يد الحدثان بسوء ومثلها كثير مما يدل على المهارة المشهورة عن اهل ذلك العصر

وفي المكان بئر وسط القبور داخل الارض كانوا يستعملون ماءه في لوازمهم وقد انير المحل حديثاً بالنور الكهربائي لتسهيل التفرج على الزائرين

(٤) الفنار

هذا الاثر قد اندثر ولم يبق منه اثر وكان قد بناه بطليموس الاول فى الطرف الشرقى من جزيرة (فارو) التى اوصلت بعد ذلك بالشاطىء وصيرت رأس التين وقايتباى الآن ويبلغ ارتفاعه (٤٥٠) قدماً ويصل نوره الى مسافة ٤٠ ميلا وهو مصنوع من الرخام الابيض على شكل بديع وفائدته كانت عظيمة جداً اذ كان هدى للمراكب في سواد الليل حتى نالت الاسكندرية حظا وافراً في اقبال المراكب عليها وما المراكب الا رسل التجارة وما التجارة للامم الا الغنى

(٥) المسلتان

كان بالمدينة مسلتان كبيرتان من حجر الجرانيت الاحمر عليهما نقوش هيروغليفية وكان الايام قد كتبت على مصر ان تحرم منها فى عصر المدنية الحاضرة فنقلت احداهما الى انجلترا سنة ١٨٠١ وهي الآن على احدى ارصفة نهر للتاميز بلندره والثانيـة الى امريكا بنيويورك

ولعل فى اسباب نقلهما داع يحتم ذلك والا فهكذا تعامل الامم المتمدنة امما اخرى هى صاحبة الحق في التمتع بآثار قدمائها

— العلم فى الاسكندرية :

هذا الفصل هو ختام البحث وليس مجيئه مؤخرا لسبب عدم اهميته ولـكن ليكون مسك الختام والعلم خليق بذلك

فمن يوم ان ظهرت الاسكندرية بشكل فخامتها وعظمتها تبعها فى اشراقها بل كان سبباً في عظمتها نور العلم الذي بزغ فيها ببزوغ حكم البطالسة على ارض مصر كلها

ويوم ان جلس بطليموس الاول بعد رئيسه الاسكندر بقليل على عرش الفراعنة وكلل رأسه بتاج مصر وقبض بيده على صولجان ملكها يوم ان نظر الى الاسكندرية بعين العطف والى العلم بعين التبجيل والتعظيم وقرن جمالها بجماله وزاد عظمتها بعظمته

وكان بطليموس يحب العلم فقرب اساطينه بأثينا اليه وبعد ان مات الاسكندر وسقط حزبه وانصاره وامامهم ارسطو الفيلسوف الكبير التجأوا الى الاسكندرية حيث وجدوا حكومة يونانية وعوائد يونانية وفوق ذلك وجدوا ملكا محباً لهم شغوفا بعلمهم ودرايتهم وكان من جملة المقربين اليه الخطيب الاثيني دمتريوس فأشار عليه أن يؤسس مكتبة كبرى لتحوى كتب الاوائل والاواخر فعمل بنصيحته واجتمع لديهم من الكتب انفسها وأهمها وأعظمها مضافا الى ماجمعوه ما كان قد ارسله الاسكندر من الكتب التى عثر عليها في فتوحاته بآسيا خصوصاً فى عاصمة بلاد الفرس وهي شيء كثير

ثم أشار عليه أيضاً بتشييد المتحف أوالنادى وهو المعروف بمدرسة الاسكندرية الشهيرة وقد جمع فيه ما يتعلق بالعلوم الرياضية .والادبية والفنون الجميلة وكان يجتمع فيه أولئك العلماء ويتباحثون ويتناقشون ويلقون دروساً في علوم الفلك والطب والجيولوجيا والطبيعة والفلسفة وغيرها ، وقد اهتم بطليموس بهذه المعاهد كثيراً وخصص لها إيرادات تصرف في سبيل حفظها وترقيتها

ولما مات سنة ٢٨٥ قبل الميلاد وتولى أبنه بعده اقتفى أثر أبيه في ذلك السبيل المحمود وأهتم بماتركه له وتعهده وزاد في المكتبة مجلدات كثيرة خصوصاً ما اشتراه من كتب ارسطو وخلفه ابنه بطليموس الثالث فسار على أثار أبيه وجده واضاف الى المكتبة كتباً كثيرة فى الادب والشعر ويقال انه فرض على كل عالم يقيم بالاسكندرية أو يمر بها أن تقدم للمكتبة نسخة من كل مايملك وقد أشتغل هو أيضاً بالشعر فترقى وذاع وصححت اشعار هوميروس الشاعر اليوناني المشهور فزهت بذلك مدينة الاسكندرية وسبقت في هذا الشوط العلمى ماتقدمها اوعاصرها من البلدان الاخرى وقد دام هذا العصر مايقرب من تسعماية سنة قسمها المؤرخون الى قسمين: يونانى وروماني وخصوا كلا منهما بمزية اشتهر بها دون الآخر فقالوا ان الاول للعلم والادب . والثاني للفلسفة والدين

اما للدور الاول وهو من اول حكم بطليموس سوتر الى دخول الرومانيين مصر سنة ٣٠ قبل الميلاد فقد نبغ من علمائه فى الرياضيات — وكانت لهـا الحظ الاول من

الغاية — اقليدس الرياضي المشهور وصاحب التأليف الهندسي الذي ترجم الى جميع لغات العالم الحية الآن وكذلك ارخميدس صاحب الاكتشافات العظيمة وغيرهما من الرياضيين العظماء

أما في علم الجغرافيا فقد نبغ بطليموس (من غير العائلة المالكة) بتأليف كتابه المسمى المجسطي المشهور للآن وفي الفلك اشتغل كثير من العلماء وكان لهم في الاسكندرية أكبر مرصد في العالم لحين ظهور العرب ودول الاسلام

وفي الطب برعوا في فن التشريح براعة عظيمة ولعل هذا هو اصل السبب في بقاء روح التمكن من علم التشريح في الاطباء المصريين الى اليوم . وقد ذكروا سببا معقولا عن سبب براعة اولئك الاطباء القدماء في هذا الفن بأنهم كانوا يكثرون من تحنيط موتاهم فيتعلموا بذلك شيئاً كثيرا يفيدهم في التشريح

قال المؤرخون انه اشتهر بالاسكندرية في ذلك العهد طبيبان يخالف الواحد منهما راى الآخر ولكل منهما انصار الاول ينصر تعاليم ابقراط الطبيب اليوناني الملقب بأبي الطب والثاني على نقيضه ويقال ان هذا الاخير قد مهد بتعاليمه السبيل الى انتشار علم التدجيل فيما جاء بعد ذلك من العصور

أما الدور الروماني وهو من اول فتحهم لمصر حتى اخذها العرب منهم فقد كان اقل بكثير من سابقه في الشهرة بالعلم ولم يشتهر الا بفلسفته الدينية لانه بعد دخول الروم مصر بقليل ظهرت الديانة المسيحية في الشرق وظهر لها انصار تجادلوا مع اليونانيين اهل المدينة الذين كانوا بها وادت مبادلة الآراء الى تأسيس مدارس دينية ونصت المدرسة الكبرى لنفسها خطة دينية وهكذا تأخر فيها سوق العلم والادب وساعد على ذلك ظهور بعض المدارس في البلدان الاخرى تنافس الاسكندرية ولكن مع هذا فقد بقيت هي مركز التدريس في الشرق الى حوالى سنة ٧٥٠ ميلاديه

ذلك هو نبأ العلم في الاسكندرية قديما وقد بقيت سائرة في سبيل الاضمحلال حتى شعرت في أوائل القرن الماضى بيد توقظها وتتعهدها بالاهتمام وتسعى لارجاع أبهتها السالفة وجمالها السابق . تلك اليد هي يد مصلح مصر محمد على باشا الكبير

أسس فيها المدارس العلمية والحربية والبحرية التى تخرج منها الضباط العديدون والذين كانوا من واضعي النهضة العلمية المصرية الحديثة — من أهم هذه المدارس التي

هى باقية الى الآن وان تغير شكلها هى مدرسة رأس التين الاميرية وبها القسم الثانوى الوحيد في الاسكندرية ،كان تأسيس هذه المدرسة سنة ١٨٣٠ وفي كل سنة يتخرج منها شبان أهل نشاط وكد

ولطلاب الدين الحنيف دائرة تابعة للمشيخة الاسلامية بالازهر الشريف وأما كن التدريس فى المساجد الكبيرة كجامع سيدى ابوالعباس والاباصيرى وسيدى ياقوت العرش وغيرهم

وليس كما هو معلوم للحكومة مدرسة غير مدرسة راس التين اما المدارس الاهلية فأهمها مدارس جمعية العروة الوثقى المؤسسة من اعيان الثغر والتى تستحق كل تحبيذ وتنشيط من كل محب لخير بلاده ونفعها وتقدمها . وقد فتحت سنة ١٩٠٨ الماضية مدرسة محمد على الصناعية بجهة الشاطبي وهي فى بناء جميل وقد حضر حفلة افتتاحها سمو الخديوى وكبار الموظفين والاعيان

ان الناظر الى مدارس الاسكندرية في الحالة الحاضرة يجدها غير كافية لها فأين مدرسة البنات بل اين مدرسة التجارة والاسكندرية مركز تجارى عظيم الاهميه ؟

تم

﴿ محتويات الكتاب ﴾

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٩	٢٢	تقال	تقام
١٣	١١	الصرب	التمسا
١٥	١٨	١٨	١٨٢٥
١٥	٢٢	تقدم	تقوم
١٧	١	سنة ١٧	(تحذف كلية)
١٩	٥	الفسطاس	الفسطاط